الدرس الأول

من أحكام اليوم الأخر

إن من أصول الإيمان وأركانه الستة الإيمان باليوم الآخر ، فلا يكونُ الإنسانُ مؤمنًا حتى يؤمن بما جاء في كتاب الله وما صح من سنة الرسول ﷺ ، مما يتعلق بذلك اليوم.

وإنَّ العلم باليوم الآخر ، و الإكثار من ذكره مهم ؛ لما له من تأثير كبير في صلاح نفس الإنسان وتقواه واستقامته على دين الله ، فلا يُقَسي القلب ، ويُجرئ على المعاصي إلا الغفلة عن ذكر ذلك اليوم وأهواله وشدائده ، الذي قال الله فيه: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [المزمل:١٧].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج:١،٢].

الموت: هو نهايَةُ كل حي في هذه الدنيا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن:٢٦] ، وقال لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠] .

فلا خلود لأحد من البشر في هذه الدنيا ، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وتجدر الإشارة إلى أمور منها:

١ – أنَّ أكثر الناس غافلون عن الموت ، مع أنَّه أمرٌ مؤكدٌ لا يتطرق إليه شك ؛ فعلى المسلم أن يكثر من ذكره، وأن يستعد له بأن يتزود من دنياه لآخرته بالعمل الصالح قبل فوات الأوان ، قال الرسول ﷺ : ((اغتنم خمسًا قبل خمس ، حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك)) [رواه الإمام أحمد] ، وأعلم أن الميت لا يحمل معه إلى قبره من متاع الدنيا شيئًا ، وإنما يبقى معه عمله ؛ فلتحرص على التزود بالعمل الصالح الذي تسعد به السعادة الأبدية ، ويكون به النجاة من العذاب بإذن الله.

الدرس الثاني

من الأمور التي تجدر الإشارة إليها فيما يتعلق بالموت إضافة إلى ما سبق:

٢ – أن أَجَلُ الإنسان مُبهم لا يعلمه أحدٌ إلا الله ، فلا أحد يعلم متى يموت ، أو في أي مكان يموت ؛ لأن هذا من علم الغيب الذي انفرد الله ـ سبحانه وتعالى ـ به.

٣ – إذا جاء الموت فلا يمكن دفعه أو تأخيره أو الفرار منه ، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [لأعراف: ٣٤].

٤ – المؤمن إذا جاءه الموت ، جاء إليه ملك الموت بصورة حسنة ، طيب الرائحة ، وتحضر معه ملائكة الرحمة يبشرونه بالجنة ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠] ، وأما الكافر ، فيأتيه ملك الموت بصورة مخيفة ، أسود الوجه ، ويأتي معه ملائكة العذاب يبشرونه بالعذاب ، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

فإذا جاء الموت انكشفت الحقيقة ، واتضح الأمر لكل إنسان ، قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون ٩٩، ١٠٠] ، فإذا جاء الموت تمنى الكافر والعاصي الرجعة إلى الحياة لأجل أن يعمل الأعمال الصالحة ، ولكن لا ينفع الندم بعد فوات الأوان ، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: ٤٤].

٥ – من رحمة الله تعالى بعباده أنَّ من كان آخر كلامه قبل موته: "لا إله إلا الله" دخل الجنة ، قال ﷺ: ((من كان آخر كلامه من الدنيا، لا إله إلا الله دخل الجنة))[أخرجه أبو داود]، لأنه لا يمكن أن يقولها الإنسان في ذلك الوقت العصيب إلا مخلصًا فيها ، أمَّا غير المخلص ، فإنَّه يذهل عنها لشدة ما يصيبه من سكرات الموت ؛ لذا يُسنُّ لمن حضر عند المُحتضر أن يلقنه: "لا إله إلا الله" ؛ لقول النبي ﷺ: ((لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)) [رواه مسلم: ٩١٦] ، وذلك من غير إلحاح عليه ؛ لئلا يضجر فيتكلم بكلام لا يليق .

الدرس الثالث

القبر: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: ((إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم)) قال: ((يأتيه ملَكَان فَيُقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟)) قال: ((فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله)) قال: ((فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة)) قال نبي الله ﷺ: ((فيراهما جميعًا)). ((وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)) [رواه البخاري ومسلم: ١٣٣٨ ، ٢٨٧٠].

وعودة الروح إلى الجسد في القبر من أمور الآخرة التي لا يدركها العقل البشري في الدنيا ، وقد أجمع المسلمون على أنَّ الإنسان يُنعَّم في قبره إذا كان مؤمنًا مستحقا للنعيم ، أو يعذب إذا كان مستحقًا للعذاب ، إن لم يتجاوز الله عنه ، قال الله تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦] ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: ((تعوذوا بالله من عذاب القبر)) [رواه مسلم:٢٨٦٧] ، والعقل السليم لا ينكر ذلك ؛ لأن الإنسانَ يرى في هذه الحياة ما يقرب له ذلك ، فالنائم يحس أنه يعذب عذابًا شديدًا ، ويصرخ ويستغيث ، ومن بجانبه لا يحس بذلك ، مع الفارق الكبير بين الموت والحياة. والعذاب في القبر للروح والبدن معًا، وقد قال الرسول ﷺ: ((إن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه)) [أخرجه الترمذي:٢٢٣٠] ؛ فينبغي للمسلم أن يكثرَ من التعوذ من عذاب القبر ، خصوصا قبل التسليم من الصلاة ، وأن يحرص على الابتعاد عن المعاصي ، التي هي السبب الأول للعذاب في القبر وفي النار. وقد سُميَّ عذاب القبر ؛ لأن أكثر الناس يقبرون ، وإلا فالغريق والحريق ومن أكلته السباع ونحو ذلك يعذب أو ينعم في البرزخ.

وعذاب القبر يتنوع من ضرب بمطارق من حديد أو غيره ، كما يملأ القبر على صاحبه بالظلمة ، ويفرش له من النار ، ويفتح له باب منها، ويُمثَّلُ له عمله الخبيث على هيئة رجل قبيح الوجه نتن الرائحة ، يجلس معه في قبره. والعذاب يستمر إذا كان العبد كافرًا أو منافقًا، أما إذا كان العبد مؤمنًا عاصيًا فيختلف العذاب بقدر معصيته ، وقد ينقطع العذاب عنه.

أما المؤمن فيُنعَّم في قبره حيث يوسع له قبره ، ويملأ نورًا ، ويفتح له باب إلى الجنة يأتيه من ريحها وطيبها ، ويفرش له منها، ويمثل له عمله الصالح في صورة رجل جميل يؤنسه في قبره.

الدرس الرابع

من علامات قيام الساعة :

لم يخلق الله هذا العالم للبقاء، بل سيأتي عليه يوم ينتهي فيه ، وهذا اليوم هو اليوم الذي تقوم فيه الساعة، وهو حق لا شك فيه قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [غافر:٥٩] ، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ:٣] ، والساعة قريبة حيث قال الله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ [القمر: ١] ، وقال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ [الانبياء:١] ، ولكن اقترابُها ليس بمقياس البشر وما تعارفوا عليه ، بل هو بالنسبة إلى علم الله ولما مضى من عمر الدنيا .

وعلمُ الساعةِ من الغيب الذي استأثر الله بعلمه ، فلم يُطلع عليه أحدًا من خلقه ، قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ الله وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣] ، وقد ذكر الرسول ـ ﷺ ـ علامات تدل على اقترابها منها: خروج المسيح الدجال ، وهو فتنة عظيمةٌ للناس ، حيث يُقدِّرهُ الله ـ سبحانه ـ على عمل أمور خارقة يغتر بها كثيرٌ من الناس ، فيأمر السماء فتمطر ، ويأمر الكلأ فينبت ، ويحي الميت ، وغير ذلك من الخوارق، وقد ذكر الرسول ـ ﷺ ـ أنَّه أعورٌ يجيء بمثال الجنة والنار ، فالتي يقول إنها الجنة هي النار ، والتي يقول أنها النار هي الجنة، ويبقى في الأرض أربعين يومًا ، يومٌ كالسنة ، ويومٌ كالشهر ، ويومٌ كالأسبوع ، ثم بقية أيامه مثل الأيام العادية ، ولا يبقى مكانٌ في الأرض إلا دخله ما عدا مكة والمدينة.

ومن علامات الساعة ، نزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وقت صلاة الصبح، حيث يصلي مع الناس صلاة الصبح، ثم يطلب الدجال فيقتله. ومن علاماتها أيضًا طلوع الشمس من مغربها ، فحين يراها الناس يفزعون ويؤمنون حيث لا ينفعهم إيمانهم ، وهناك آيات أخرى كثيرة للساعة.

الدرس الخامس

قيام الساعة

١ – لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ، ذلك أن الله ـ سبحانه ـ يبعث قبل قيامها ريحًا طيبةً تقبض أرواح المؤمنين ، فإذا أراد الله القضاء على المخلوقات بالموت ونهاية الدنيا ، أَمَرَ الله المَلَك بالنفخ في الصور (وهو قرن عظيم) فإذا سمعه الناس صُعقوا قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ﴾ [الزمر:٦٨] ويكون ذلك يوم جمعة ، ثم بعد ذلك يموت جميع الملائكة ولا يبقى إلا الله سبحانه وتعالى.

٢ – كل جسم الإنسان يفنى وتأكله الأرض إلا عجب الذنب (أي أصله ، وهو العظم الذي يكون في أسفل الظهر) أمَّا أجساد الأنبياء والشهداء فإنها لا تأكلها الأرض ، فيُنزل الله ـ سبحانه ـ من السماء ماء فتنبُت الأجساد وتتكون من جديد ، فإذا أراد الله بعث الناس أحيا إسرافيل ، وهو المَلَك المُوكَل بالصور ، فينفخ في الصور النفخة الثانية، فيحي الله جميع المخلوقات ، ويخرج الناس من قبورهم كما خلقهم الله أول مرة ، حفاة عراة غرلًا (أي غير مختونين) قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ.﴾ [يّس:٥١] ، وقال سبحانه: { يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [المعارج:٤٣ ، ٤٤] ، وأول من تنشق عنه الأرض هو خاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ ، كما جاء ذلك عنه عليه الصلاة والسلام ، ثم يُساق الناس إلى أرض المحشر ، وهي أرضٌ واسعةٌ منبسطة، ويحشر الكفار على وجوههم، وقد سئل الرسول ﷺ : كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ فقال: ((أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا ، قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة)). [رواه مسلم: ٢٨٠٦] والمُعرض عن ذكر الله يحشر أعمى ، وتدنو الشمس من الخلائق ، فيكون الخلق على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون العرق إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا بقدر أعمالهم ،

هناك من يُظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، قال الرسول ﷺ: ((سبعة يظلهم الله ـ تعالى ـ في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل ، وشابٌ نشأ في عبادة الله ، ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذَكَرَ الله خاليًا ففاضت عيناه) [متفق عليه: ١٤٢٣-١٠٣١] ، وليس هذا خاصٌ بالرجال ، بل المرأة أيضًا تحاسب على أعمالها ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، ولها مثل ما للرجل من الجزاء والحساب.

الدرس السادس

الحساب

يشتدُ العطش بالناس يوم القيامة ، في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة ، إلا أنه يمر على المؤمن سريعا كأداء صلاة مكتوبة ، ويَرِدُ المسلمون حوض النبي ـ ﷺ ـ يشربون منه (والحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا ﷺ ، تشرب منه أمته يوم القيامة ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، ورائحته أطيب من ريح المسك، وآنيته بعدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا) ويبقى الناس في أرض المحشر زمنا طويلا ينتظرون الفصل بينهم والحساب ، فإذا طال بهم الوقوف والانتظار ، مع ما هم فيه من الشدة وحر الشمس ؛ التمسوا من يشفع لهم عند الله للقضاء بين الخلائق ، فيأتون آدم ـ عليه السلام ـ فيعتذر ، ثم يأتون نوحا ـ عليه السلام ـ فيعتذر ، ثم يأتون إبراهيم ـ عليه السلام ـ فيعتذر ، ثم يأتون موسى ـ عليه السلام ـ فيعتذر ، ثم يأتون عيسى ـ عليه السلام ـ فيعتذر ، ثم يأتون محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيقول: ((أنا لها)) فيسجد تحت العرش ، ويحمد الله بمحامد يفتحها الله عليه في ذلك الموقف ، فيقال: ((يا محمد ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفَّع)) فيأذن الله بالقضاء والحساب ، وأمة محمد هي أول من يحاسب.

أول ما يحاسب عنه العبد من أعماله الصلاة ، فإن صَلَحت وقُبلت نظر في سائر عمله، وإن ردت رد سائر عمله ، ويُسأل العبدُ عن خمس: عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به ، أما أول ما يُقضى فيه بين العباد ففي الدماء. والقصاص يومئذ يكون بالحسنات والسيئات، فيؤخذ من حسنات الشخص وتعطى لخصمه ، فإذا فنيت حسناته ، أُخذ من سيئات خصمه وطرحت عليه.

ويُنصب الصراط (وهو جِسرٌ أدقُّ من الشعر ، وأحدُّ من السيف ، يُنصب على متن جهنم) فيمر الناس من فوقه بقدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، وكالريح ، وكأجاود الخيل ، ومنهم من يحبو حبوًا ، وعلى الصراط كلاليب تأخذ الكفار وتلقيهم في جهنم ، ويتساقط الكفار ومن شاء الله من عصاة المؤمنين في النار، فأما الكفار فيُخَلدون في النار ، وأما عصاة المؤمنين فيعذبون ما شاء الله ، ثم يُخرجون إلى الجنة.

ويأذن الله لمن شاء من الأنبياء والرسل والصالحين أن يشفعوا لبعض من دخل النار من أهل التوحيد فيخرجهم الله منها ، ويقف من يجتاز الصراط ـ وهم أهل الجنة ـ على قنطرة بين الجنة والنار ، حيث يُقتص لبعضهم من بعض ، فلا يدخل الجنة من كان عنده لأخيه مظلمة حتى يقتص منه وتطيب نفوسهم على بعض ، وإذا دخل أهل الجنة الجنة ، ودخل أهل النار النار، جيء بالموت على صورة كبش فذبح بين الجنة والنار ، وأهل الجنة والنار ينظرون ، ثم يقال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ؛ فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة من شدة الفرح ، ولو أن أحدًا مات حزنا لمات أهل النار.

الدرس السابع

النار وعذابها :

قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤] وقال رسول الله ـ ﷺ ـ لأصحابه: ((ناركم هذه ـ التي يوقد ابن آدم ـ جزء من سبعين جزءا من حرِّ جهنم)) قالوا: والله إن كانت لكافية ، يا رسول الله ، قال: ((فإنها فضلت بتسعة وستين جزءًا ، كُلها مثل حرِّها)) [رواه البخاري ومسلم: ٣٢٦٥ ، ٢٨٤٣].

والنار سبع طبقات ، كل طبقة أشدُّ عذابًا من الأخرى، ولكل طبقة منها أهل ، بقدر أعمالهم ، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار ، وهو الأشد عذابًا ، وعذابُ أهل النار من الكفار دائم لا ينقطع ، فكلما احترقوا أُعيدوا مرة أخرى ؛ لمزيد من العذاب ، قال الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦] وقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر:٣٦] ، ويصفَّدون فيها ، وتغل أعناقهم ، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [ابراهيم:٤٩ – ٥٠] ، وطعام أهل النار الزقوم ، حيث قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان:٤٣ –٤٨] ، ويبين شدة عذاب النار ، وعِظم نعيم الجنة، ما جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ ، أنه قال: ((يؤتى بأنعم أهل الدنيا ، من أهل النار ، يوم القيامة ، فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال: يا ابن آدم ، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا ، والله يا رب ، ويؤتى بأشدِّ الناس بؤسًا في الدنيا ، من أهل الجنة ، فيصبغ صبغة في الجنة ، فيقال له: يا ابن آدم ، هل رأيت بؤسًا قطُّ ؟ هل مر بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا ، والله يا رب ، ما مر بي بؤس قطُّ ، ولا رأيت شدةً قطُّ)) [رواه مسلم: ٢٨٠٧] ، فالكافر ينسى كل ما مر به في الدنيا من النعيم والترف من غمسة واحدة في النار ، والمؤمن ينسى كل ما قاساه في الدنيا من البؤس والفقر والشقاء من غمسة واحدة في الجنة.

الدرس الثامن

الجنة ونعيمها :

الجنة دار الخلد والكرامة ، أعدها الله لعباده الصالحين ، فيها من النعيم ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧]، وهي درجات تتفاوت منازل المؤمنين فيها بقدر أعمالهم ، قال سبحانه: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة:١١] ، يأكلون ويشربون فيها ما تشتهيه أنفسهم ، فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من عسل مصفى ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وخمرهم ليست كخمر الدنيا ، قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ [الصافات:٤٥-٤٧] ويزوجون فيها من الحور العين ، قال ﷺ: ((لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما – أي السماء والأرض – ولملأته ريحا)) [رواه البخاري:٢٧٩٦].

وأعظم نعيم أهل الجنة هو النظر إلى الله سبحانه وتعالى. وأهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتمخطون ، ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك. ونعيمهم هذا دائم لا ينقطع ولا ينقص ، قال ﷺ: ((من يدخل الجنة يَنْعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه)) [رواه مسلم: ٢٨٣٦] ، ونصيب أقل أهل الجنة ـ وهو آخر من يخرج من النار من أهل الإيمان ويدخل الجنة ـ خير من الدنيا كلها عشر مرات.

جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.